شرح قصيدة مسكنهم في القلب

تعدُّ هذه القَصيدَة واحدة من أشهر قصائد الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري، فقد عاش الشاعر معظم حياته مسافرًا في بلاد المهجر بسبب طبيعة عمله بعيدًا عن أولاده وأسرته، وكتب هذه القصيدة للتعبير عن الوحدة والشوق والحنين إليهم، حيث يقول في مطلعها: أين الضَجيجُ العَذْبُ والشَغَبُ أين التدارسُ شَابَهُ اللّعبُ، وقد نظمها الشاعر على بحر أحذ الكامل وقافية الباء المضمومة، وهي من القصائد الطويلة فقد بلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 28 بيتًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة:

أين الضَجِيجُ العَذْبُ والشَغَبُ
أين التدارسُ شَابَهُ اللّعبُ
أين الطفولةُ في تَوَقُّدِها
أين الدُمى في الأرضِ والكتبُ

يتساءل الشاعر بعد أن أصبح بعيدًا عن أولاده ووحيدًا من دونهم ويقول: أين تلك الأصوات العالية والصاخبة التي كانوا يحدثونها في البيت، وأين الفوضى والشقاوة التي كان يطفح بها البيت، وأين الدراسة والتعلم الذي كانوا يخلطونه مع اللعب بسبب شقاوتهم، وأين تلك الطفولة التي كانت تملأ البيت وتنشر الألعاب والكتب على الأرض في كل مكان، وهذا يشير إلى أن الشاعر يفتقد كل تلك الأشياء بشدة.

أين التشاكسُ دون ما غَرَضٍ
أين التَشاكي ما له سببُ
أين التباكي والتضاحكُ في
وقتٍ معاً.. والحُزْن والطَرَبُ

وأين ما كانوا يصنعونه بمشاكساتهم وشقاوتهم بدون هدف وإنما من اجل التسلية وإثارة الفوضى، وأين التذمر الدائم وإظهار الاستياء من دون سبب أيضًا، وأين ما كانوا يقومون به من بكاء مفتعل أو ضحك مفتعل في الوقت نفسه، وإظهار الحزن والفرح في نفس الوقت.

أين التسابقُ في مجُاورَتي
شَغَفاً إذا أكلوا وإن شَرِبوا
يتزاحمون على مجالستي
والقربِ منّي حيثما انقلبوا

ومن كثرة الأشياء التي يفتقدها الشاعر بغياب أبنائه فإنه يعدّدها جميعها فيتابع قائلًا: أين ما كانوا يسعدونني به من التسابق للجلوس بجانبي حبًّا ورغبةً بي سواء إذا جلسوا لتناول الطعام أو إذا أرادوا أن يشربوا مشروبًا معينًا، وقد كانوا يحدثون ازدحامًا عندما يريدون الجلوس معي وبالقرب مني أينما ما توجهوا أو أرادوا الجلوس معًا.

يتوجّهون بسوق فطرتهم
نحوي إذا رهبوا وإن رَغِبوا
فنشيدهمْ بابا إذا طَرِبوا
وَوَعِيدُهم بابا إذا غضبوا

وقد كانت فطرتهم وعفويتهم التي فطرهم الله تعالى عليها هي التي تسوقهم إلى الإسراع نحوي سواء في حالات الخوف أو الرضا، ففي كل أحوالهم يريدون أن يكونوا معي وبقربي، فإذا ما فرحوا يصرخون بابا وإذا ما غضبوا يصرخون بابا، حيث يرغبون بالحصول على الأشياء الجميلة مني ويتوعدون بعضهم بي أيضًا.

بالأمس كانوا ملءَ منزلنا
واليوم وَيْحَ اليوم قَدْ ذهبوا
وكأنما الصمت الذي هبطت
أثقاله في الدّار إذ غربوا

فقد كانوا أمس يملأون البيت بوجودهم وبكائهم وضحكهم، واليوم يا حزني وتعاستي لغيابهم، فقد ذهبوا وكأنهم لم يكونوا هنا، وقد هبط الصمت مثل جبال عظيمة بثقله على هذا البيت، ونشَر أجواء من الحزن والتعاسة فيه.

إغفاءَةُ المَحْمُومِ هَدْأَتُها
فيها يشيع الهَمُّ والتَّعَبُ
ذهبوا أجل ذهبوا ومسكنهم
في القلب ما شطّوا وما قربوا

وكأن ما أحدثه ذلك الصمت الرهيب بعد غيابهم مثل الغفوة التي يأخذها الشخص المصاب بالحمى، وهي غفوة يشيع فيها النصب والتعب والتوجع والألم، فقد ذهبوا في الحقيقة ورحلوا من هنا، ولكنهم رغم ذلك ما زالوا يسكنون في القلب وما يزال القلب يشعر بوجودهم فيه ولن يغادورا منه أبدًا.

إني أراهم أينما اتجهت
عَيني وقد سَكنوا وقد وثَبوا
في كل رُكْنٍ منهمُ أثَرٌ
وبكلّ زاويةٍ لهم صَخَبُ

فأنا أراهم أينما نظرت وأينما وجهت عيني، في المكان الذي كانوا يجلسون فيه، وفي المكان الذي يتحركون فيه، في كل مكان في المنزل لهم علامات تدل على أنهم كانوا هنا، وما زلت أشعر بأصواتهم وضجيجهم في كل زاوية وكأنهم لم يغادوا أمس هذا البيت.

إني أَراهُم أيْنما التفتت
نَفْسي كأسْرابِ القَطا سَرَبوا
قد يعجب الغُدَّال من رجلٍ
يبكي ولو لم أبك فالعجبُ

وما زلت أشاهدهم وأشعر بوجودهم أينما تلفتت في هذا البيت وكأنهم مثل أسراب طيور القطا الصغيرة الجميلة، وقد يتعجب الناس الذي يلومونني من بكائي على فراقهم ولكن في الحقيقة إنَّ عدم بكائي على فراقهم هو الأمر الذي يجب التعجب منه لأنَّ فطرة الإنسان أن يحزن على فراق أبنائه.

الصور الفنية في قصيدة مسكنهم في القلب

إنَّ قصيدة الشاعر عمر الأميري تضمُّ عددًا كبيرًا من الصور الفنية والتي يعتمد عليها الشعراء في كتابة الشعر في العادة لإيصال المعنى إلى الناس بطرق غير مباشرة وأكثر جماليةً وعذوبة، وتمنح هذه الصور الفنية القصائد ألوانًا موسيقية إضافة إلى أساليب لغوية مختلفة لتزيين وزخرفة الأبيات الشعرية والقصائد، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدَة:

- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية في القصيدة أكثر من مرة كما في قول الشاعر: أين الضَجِيجُ العَذْبُ والشَغَبُ، كنَّى الشاعر بهذه الألفاظ عن لعب الأطفال والفوضى التي يحدثها وجودهم في المنزل.
- **تشبيه بليغ:** ورد في قوله: ومسكنهم في القلب ما شطّوا وما قربوا، فقد شبه القلب بأنه مسكن للأولاد، ولكنه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في القصيدة في قول الشاعر: أين التباكي والتضاحكُ في وقتٍ معاً.. والحُزُن والطَربُ، ورد الطباق مرتين هنا، فقد ذكر التباكي والتضاحك وهما متعاكستان في المعنى، وذكر الحزن والطرب وهما أيضًا متعاكستان أيضًا.
- **استعارة مكنية**: وردت الاستعارة المكنية في قوله الشاعر: وكأنما الصمت الذي هبطت أثقاله في الدّار إذ غربوا، شبه الشاعر الصمت بشيء مادي له ثقل، فذكر المشبه وهو الصمت، وحذف المشبه به وذكر إحدى صفاته وهي أنَّ به ثقل يمكن أن يهبط على الدار.
- **أسلوب الجناس**: ورد أسلوب الجناس في قوله: أين التشاكسُ دون ما غَرَضٍ أين التَشاكي ما له سببُ، وردت كلمة التشاكس والتشاكي، وفيهما جناس غير تام لاختلاف آخر حرف من كل كلمة عن الآخر.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة مسكنهم في القلب

توجد بعض الكلمات التي قد يجدها كثير من الأشخاص صعبة وغير مفهومة في الشعر، لأنَّ اللغة العربية الفصيحة هي المستخدمة في كتابة الشعر والأدب، وكثير من الكلمات لا تستخدم في اللهجات العامية بين الناس، ولذلك توجد كثير من الكلمات التي يصعب فهمها من دون اللجوء إلى معاجم وكتب تفسرها وتوضح معانيها المقصودة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
الضجيج	الصوت المرتفع والمتداخل
الشغب	إثار الفوضى والاضطرابات
شابه	اختلط به
التشاكس	الشقاوة وإثارة الفوضى

التشاكي	كثيرة الشكوى والتذمر
شغف	حب شديد وولع
رغبوا	رضيوا وأرادوا حبًا
طربوا	فرحوا
المحموم	المصاب بالحمى
شطوا	ابتعدوا
وثبوا	قفزوا وتحركوا
القطا	أحد أنواع الطيور الجميلة